ياسمين مبارك

حلول وسط جذرية

لماذا علينا أن نتقابل في المنتصف من أجل سياسية أفضل

ترجمة:
ضياء الدين النجار

دار نشر هوفمان وكامبه

إننا لا نتحمل المسؤولية عن أي محتوى لروابط موجودة في مواقع أطراف خارجية، إذ أننا لا نتبنى مواقفها، بل مجرد نحيل إلى وضعها في وقت تحريرها في نوفمبر/ تشرين ثان 2021.

الطبعة الثانية 2022

حقوق النشر © 2022 : Hoffmann und Campe Verlag, Hamburg www.hoffmann-und-campe.de

تصميم الغلاف: © finken & bumiller

صورة الغلاف: © Pixxsa / Shutterstock

التنضيد: Pinkuin Satz und Datentechnik, Berlin

الخط الطباعي: منيون

الطباعة والتجليد: GGP Media GmbH، Pößneck

طبع في ألمانيا

رقم الإيداع الدولي: 978-3-455-01334-4

دار نشر هوفمان وكوبه

شركة تابعة لمجموعة جانسكه للنشر

المحتويات

الفصل الأول
عن الرحلة بالقطار وعن الجندرة وعن المحظورات اللغوية

الفصل الثاني
عندما ذات مرة اتفقنا فريدرش ميرتس وأنا في الرأي. وما علاقة السيد شتوكل من شركة آه إيه جيه بالتصفير المحاسبي 29

الفصل الثالث
عن جيل طفرة المواليد، خطابات أولياء الأمور والتعلق الواقعي بالوسط 55

الفصل الرابع
لماذا لن تأتي الثورة 71

الفصل الخامس
كلنا سيكون لزاما إلغاؤنا 83

الفصل السادس
عن الذات المتضخمة للمثاليين أو: عندما تنقذ العالم من أجلك أنت، فيمكنك أيضا أن تترك الأمر برمته 109

الفصل السابع
عن السياسة الواقعية، وبطبيعة الحال، عن فيلي برانت 123

الفصل الثامن
لماذا الأمر في احتياج لقيادات جيدة – وتمثيل في داخل البرلمانات 143

الفصل التاسع
عن الحل الوسط الجذري: مستقبل السياسة الواقعية للديمقراطية رائع 165

كلمة شكر 181

المراجع 183

المصادر 185

إلى نوح، أنغيلا، سمير وليون

"من ناحية الجوهر رأيي
أنه يجدر على الكاتب أن يتبع منحنى تطوره الداخلي وأن يأمل في الأفضل."

دوريس ليسنغ

الفصل الأول

عن الرحلة بالقطار،

وعن الجندرة[1]

وعن المحظورات اللغوية

"التصور بوجود حقيقة مقدسة مستترة لا تفتح أبوابها إلا لمن حظي بطقوس كشف الأسرار يحجب النظر عن أبعاد نشأتها وأبعاد صيرورتها. وما يخضع الآن للتعمية سيجري فهمه في فضاء سرمدي صارم. وسيظل محجوبا إلى أبد الآبدين ومع ذلك فإن هناك أيضا في السر المسرور صيرورة ما"

آن دوفورمانتيل[1]

[1] اختيار مصطلح الجندرة من قالبه الأجنبي Gender خضع لأسباب تحديد الدلالات والتفريق بينه وبين مصطلح الجنس ومشتقاته. فالجندر مصطلح يخص الهوية المجتمعية للإنسان وأدواره بوصفه رجلا أو امرأة بينما يختص مصطلح الجنس بالذكورة والأنوثة في المقام الأول. (المترجم)

القراء الأعزاء،

كيف يتغير المجتمع؟ كيف ننجح في إعادة تشكيل أنفسنا تشكيلا جذريا دون أن نتفكك كمجتمع وينتهي الأمر بنا إلى الفوضى؟ هذه هي الأسئلة الملحة لعصرنا. ولا أظن أن أحدا يعرف هذا على وجه اليقين. ومع ذلك فإني أظن أن هذا يساعدنا بالفعل لكي نتعرف على ما سيأتي بنتائج عكسية. وبهذا نكون قد قطعنا عدة خطوات إلى الأمام. وهو ما يمكنني بشأنه أن أخبركم ببعض الأشياء. لذلك دعونا نبدأ بالتأمل فيما يمنع المجتمع من أن يتغير.

***

يا ترى هل أثار خطابي الاستهلالي لك حفيظتك؟ هذا صحيح، إن استخدام صيغة تغليب المذكر هو المفضل لدي. هذا يعني أنني أستخدم بشكل عام صيغة تغليب المذكر عندما أتحدث وأكتب؛ فهو خطاب عام يشمل جميع الأشخاص. فعلى سبيل المثال قد أقول أيضًا: "أعزائي المشاهدين ..."؛ فهو في الواقع الشكل الأكثر شيوعًا لجميع أنواع المخاطبات التي نشأ على استخدامها معظمنا - سواء أكان ما يسمى الجيل زد أو جيل ما بعد الألفية (أي أولئك الذين ولدوا بعد عام 1996) أو جيل طفرة المواليد[2]. في المدرسة، عند طبيب الأطفال، عند التقدم بطلب لاستخراج جواز سفر أو في الإذاعة – دائما ما كانت تعد صيغة تغليب المذكر استغراقية[3].

اللغة دائما وأبدا في تحول؛ فالمفاهيم يجري مراجعتها وإذا اقتضى الأمر تغييرها بالإحلال الكامل. وهو ما يمتد أيضا إلى أشكال المخاطبة وتأثيرها – أي من تريد أن توجه إليه الخطاب وعلى أي نحو سيفهم هذا الخطاب – فهي أي الأشكال تخضع للمراجعة. وهو ما ينطبق أيضا على ما يطلق عليه "الجندرة". والآن يطرح السؤال الشيق نفسه: لماذا اخترت هذا الاستهلال؟ تضرب مسألة الجندرة إلى حد ما المثال الواضح على الكيفية التي ندير بها نقاشاتنا المجتمعية: أي دون استهداف توافق في الآراء على الرغم من أن الجميع معني بالنقاش؛ فذلك مثال جيد كيف تخفق النقاشات في القيام بوظائفها. إن تفضيلي للجندرة باستخدام صيغة تغليب المذكر ليس بالأمر الجيد ولا هو بالأمر السيء؛ إنه ببساطة خيار من خيارات عديدة. أضف إلى ذلك أن الجندرة في الوقت الحالي أيضًا موقف سياسي كامل: لأن هذه هي الطريقة التي أكتب وأتحدث بها، على الرغم من درايتي بالعمق الأكاديمي للجدل الدائر حول الجندرة؛ فمن أعنيه – كما سبق ذكره – هو كل الناس. قد لا يوحي بذلك على الفور صيغة تغليب المذكر، ولكن مجرد إمعاننا التفكير في أن صيغة تغليب المذكر قد لا يشمل الجميع هو بالفعل نتيجة للنقاش وبالتالي أمر سياسي.

لقد اتخذ الجدال حول ما إذا كنا علينا أن نجندر وكيف سنجندر أبعادا سخيفة وأدى إلى أن يسخّف أغرب الغرباء في الشارع على بعضهم البعض أو إلى عدم شراء الكتب إذا لم يُجندر بداخلها، أو ربما إلى عدم شرائها بالأساس إذا جُندر بداخلها.

عندما يجندر الصحفيون فإنهم يتلقون إشعارات تتهمهم بأن الصحافة لم تعد محايدة بأي حال من الأحوال ويجري تبني مزاعم مفادها بأن المتشددين من اليسار والخضر لهم الآن الحضور الطاغي وأنه لم يعد ممكنا قراءة نص لا يتضمن خبلا جندريا؟ وإذا لم أجندر فإن الناس تسألني لماذا أفعل ذلك، وما إذا كنت أعمد إلى التمييز أم أنني مجرد سهى الأمر على. ولو كان الافتراض الأول هو الحال – كما يقولون – فإنهم وقتها يُصدمون في شخصي.

أنا لا آخذ ذلك على محمل شخصي بأية حال؛ إذ أنه سؤال مشروع تمامًا ما إذا كنت تجندر أم لا. ولكن الشيء الأكثر إثارة في الأمر هو أنه يظهر من خلال ذلك نوع المشكلات التي تواجه الصحافة. داخليًا يشغل الجدال حول ضرورة الجندرة من عدمه مؤتمرات تحريرية بأكملها ويتساءل الصحفيون عن واجبهم التربوي تجاه القراء. أم يا ترى ليس لديهم أي واجب تربوي على الإطلاق؟ إنه تفاعل متسلسل.

في الوقت نفسه فإن الجندرة التي تقسم دائرة معارفنا ظاهريا إلى أخيار وأشرار لا تهم الرجل العادي – بشكل حرفي تماما في هذه الحالة – على أي وجه خاص. » لست ضد هذا قطعا، يا إلهي، لماذا يجب أن تكون الأشياء كلها دائما بلا أدنى مقدمات بهذه البشاعة» - هكذا بدأت المحادثة في القطار (بطبيعة الحال في قطار المدن السريع الفاخر لأن جميع الصحفيين الذين يميلون إلى المبالغة في تقدير الذات يخصبّون أطروحاتهم بطرائف من الحياة الفعلية، التي تقع أحداثها إلى حد كبير عبر المكالمات بتقنية الزوم وسيارات الأجرة والقطارات). سأبادر بالاعتذار من هذه اللحظة عن هذه المضايقات، لأن هذه الطرفة لن تكون آخر طرائف السفر التي ستسمعها مني في هذا الكتاب.

---

[2] (أي أولئك الذين ولدوا ما بين الأعوام 1946 و1964).

[3] الاستغراق في علوم اللغة أن يكون كل فرد من أفراد العينة معنيا فهو شمول يضم مائة بالمائة من الأفراد المخاطبين (المترجم).

كان الرجل في القطار في منتصف العمر، وكانت نسبة الصوف في ملابسه مرتفعة، ولا شك أن حقيبته الجلدية كانت هدية بمناسبة أعياد الميلاد. أخذ الرجل يقرأ في جريدة **فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج** (المعروفة أيضًا بالنقاش الدائر بداخلها حول الجندرة – حيث لا توجد – بحسب ما يتردد هناك – رغبة في إعادة تربية القراء أو مداهنة التوجهات السائدة لدى المتشددين من اليسار والخضر). جلست في مواجهته، أنا الفرد ذو الأصول المهاجرة على نحو لا تخطئه العين، حيث كنا مسافرين سويًا بسرعة هائلة في الدرجة الأولى من قطار المدن الفاخر في اتجاه كولونيا – وكنا قد رمينا من وراء ظهورنا المشاعر العدائية المرتبطة بفصل القطار في مدينة هامّ[4]. ابتدأ حديثنا لأن الرجل سألني على نحو مباشر تماما عن موقفي من هذه الجندرة. وبالنظر إلى النرجسية التي عادة ما يكون عليها الكتاب أمثالنا، فقد أمعنت التفكير على الفور لبرهة فيما أهلني – إن شاء الله – في عينيه لهذا الكلام. هل يجري تهميشي هنا؟ هل كان في احتياج إلى أن تؤكد له امرأة شابة أن نظرته للعالم لم تكن في نهاية المطاف معادية للبشرية، أم أنه ببساطة كان يبحث بشكل عاجل عن شخص ما للتحدث معه؟

"لأكون صريحًا ، أنا شخصياً لا أجندر، يعني إذا ما أحببت أن تعرف هذا."

"يبدو أنك فعلا من ضمن الأشخاص العاقلة في جيلك."

"لا، لا أظن هذا."

"حسنًا، كما تريدين، إذن لا".

الصمت. لو فقط أعرف من أين تأتي هذه الرغبة العارمة لتقسيم الناس على أساس لغتهم إلى من يمتلك العقل ومن ينعدم من عنده العقل؟ كنا من ناحية الجوهر على اتفاق، ومع ذلك فقد كنت "على آخري" منه. لماذا يا ترى بحق الجحيم عمم هذا السيد جيلا بأكمله؟

سألته: هل كان سيضايقك لو أنني كنت ممن يجندرون؟ ماذا كنت ستقول لو أني كنت قد أجبتك بهذه الطريقة؟"

"جميل جدا، أنت إذن تريد إعادة تربية الأشخاص الذين لم يكن لديهم مطلقًا مشكلة مع ذلك الأمر. ما أقصده، أليس لدينا مشاكل أخرى؟"

نظر مدهوشا إلي.

"على ما يبدو أنك ليس لديك أي مشاكل أخرى".

"أفندم؟"

"بما أنك تبدين متضايقة جدًا من جندرة الجالس أمامك فأنت من لديه المشكلة."

'لكنني لست أنا من بدأ بالأساس هذه المناقشة! هل ليس لدى الناس حقا أي شيء آخر ليفعلوه؟ ناهيك عن أنني كنت قد شاركت في بعض المظاهرات.

يا أيتها السماء!

»هل يعفي الآن السير في المظاهرات من المشاركة في النقاشات المجتمعية؟«

"كل ما أريد قوله هو أنه هناك فعلا أشياء محترمة يجب الحرص عليها".

"أنت الآن تقلل من قيمة نقاش سياسي لم يرغمك عليك أحد؟"

»أي نعم ، على الأقل جريدة ألجاينه تسايتونج لا تجندر، لكن الجماهير تفعل ذلك من حين لآخر، وهو أمر لا مهرب منه.

---

[4] يتم فصل العربة الأولى عن بقية القطار حيث تواصل السفر إلى جهة مختلفة عن بقية القطار مما يرتبط عادة بحالة هرج ومرج بين الركاب حتى لا يظل الراكب جالسا في العربة التي ستسير به إلى اتجاه خاطئ.

»بارك الله في المعروض الثري لوسائل الإعلام».

تصاعدت أنفاسه اللاهثة.

"انت متكبرة."

"وأنت تنحرف عن المسار الصحيح."

حتى مدينة كولونيا لم يكن هناك ما بيننا سوى بعض النظرات المتحاشية والتخبط والعصبية بسبب 37 دقيقة تأخير. خلاصة القول: عادة ما يتراجع مستوى الخطاب للأسباب التالية تماما: عبادة الفرد وإضفاء الطابع المطلق على رأي الفرد الذاتي. هكذا كان الأمر من جانبي ومن جانبه في هذه الحالة، يجب أن نكون على هذه الدرجة من الصدق.

من أين يأتي انعدام الحل الوسط هذا؟ إنه أمر يفرض نفسه مؤخرًا بوضوح لا تخطئه العين على كل جدال في ألمانيا. "أليس الأمر متروكا لكل شخص بحسب ما يريحه؟" لقد تجاوزنا ذلك الأمر من عهد بعيد؛ فرأينا الذاتي يكوّن العالم كما نراه يجب أن يكون.

وأما إذا كانت الأرقام هاهنا هي الفيصل فسنجد أنها تتحدث لغة واضحة: نحو 65٪ من الألمان لا يريدون أن يجندروا، والنسبة من بين مؤيدي حزب الخضر تبلغ 50٪ تقريبًا. أما في داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي فهناك 57% يعارضون هذا الأمر، بل أن النسبة في داخل الاتحاد المسيحي الديمقراطي تصل حتى إلى 68%. ويزداد الرفض على نحو أكبر بين اليسار ليصل إلى 72%، يليه الحزب الديمقراطي الحر بنسبة 77% وحزب البديل من أجل ألمانيا بنسبة 3 %. والمشوق على نحو خاص هو الآتي: الأرقام منذ الاستطلاع الأخير الذي أجري من قبل عام مضى – بعد كل هذه المجادلات والمطالبات – لم تنخفض في شيء، بل ارتفعت. فلماذا تتحول يا ترى أصلا الجندرة إلى موضوع على هذا القدر من الأهمية في الوقت الذي يبدو فيه بوضوح تام أنه ليس هناك إجماع بشأنها. لقد تجاوز النقاش منذ فترة طويلة إطار التحليل الموضوعي – حيث أصبحت مسألة أن تجندر أم لا رمزا سياسيا، موقفا لميس من السهل بأي حال من الأحوال التهوين من حدته.

يمكن أن تجندر بطرق مختلفة. فعلى سبيل المثال يمكن أيضًا استخدام صيغة تغليب التأنيث. ووقتها سيكون منطوق العبارة "القارئات العزيزات" يخاطب افتراضا كل الأجناس كما هو الحال تمامًا مع عبارة "القراء الأعزاء". كما يمكنك أيضًا ان تنس صراحة على الرجال وعلى النساء بلفظهما المباشر:» القراء الأعزاء والقارئات العزيزات «. ولكن كما يقال سيكون المقصود وقتها على نحو مباشر تماما جنسان بعينهما، مما قد يستبعد معه أولئك الأشخاص الذين لا يصنفون أنفسهم ضمن أي من الجنسين. فكل من الرجل والمرأة ثنائيان. ومن أجل أيضا إنصاف الأشخاص غير الثنائيين يمكن الآن أن تجندر بوضع علامة النجمة أو بالألمانية حرف التسوية (I) (الأيي) بداخل الكلمة. هناك علاوة على ذلك النقطتان المزدوجتان والشرطة السفلية، على سبيل المثال: "Liebe Leser_innen = القراء الأعزاء/ القارئات العزيزات" أو "Liebe Leser:innen = القراء الأعزاء/ القارئات العزيزات" – حيث يقترن هذا غالبا بوقفة صوتية مسموعة؛ فهي صيغة من المفترض أن تخاطب على نحو واضح كل الأجناس الموجودة.

بالمناسبة، وهو ما سيكون مهمًا أيضًا لاحقًا: إن العلم بماهية الدلالات والمعاني الدقيقة والكيفية التي تستخدم بها تلك المفاهيم على النحو الصحيح هو امتياز يحظى به الأكاديميون رفيعو المستوى، ولكنه في نفس الوقت الإثم الأعظم لهذا الجدال الدائر؛ فلكي تكون قادرًا على التحدث على نحو لا يقصيك وتستوعب معه ما يصاحب ذلك من تسلسل في الأفكار يلزم وجود مستوى راق من التعليم المدرسي، جنبًا إلى جنب مع إمكانية المشاركة في النقاش على المستوى اللغوي أيضا.

بأي مفاهيم نتحدث عن شيء ما؟ إن هذا من الأمور المسيّسة. ومن وجهة نظر تتبنى التوجهات التحررية وتراعي تعدد الجوانب فإن الجندرة الوحيدة التي لا تمارس التمييز هي التي تتم باستخدام علامة النجمة. أما تعدد الجوانب فهو مصطلح شامل يصف ما يقع من تمييز قد يتقاطع مع غيره أو يحدث مع تمييز آخر في ذات الوقت. وتتمثل الرغبة ها هنا – بلغة مغايرة – في لفت الانتباه إلى هذا التعدد، والرغبة في جعلنا نفكر على نحو يراعي أكثر تعدد الجوانب هذا. ولا عيب في ذلك بالتأكيد طالما كان بمقدورنا فعلا أن ننطلق من أن الناس غالبا ليس لديهم نية مبيته في إهانة بعضهم البعض.

ربما يبدو هذا وجيها بالنسبة لكثيرين، حتى أن بعضهم قد يقول: من ذا الذي عساه بعد الآن ألا يكون قادرا على الاقتناع بالجندرة؟

في قصة غلافها عن الجندرة التي شهدت نقاشات مستفيضة كتبت مجلة دير شبيغل: "مع تزايد الثقة بالنفس تطالب المجموعات (المهمشة) بالحق في الإعلان عن نفسها عبر الاستخدام اللغوي وبتعيين مكانها في المجتمع. [...] ربما يكون الهدف من جميع التنويعات واحدا: حيثما كان هناك تمييز أو كان من الممكن أن يكون موجودا يجدر أن ينمو هناك الآن الهوية وتقدير الآخر"[3]

يمكنني الآن أن أطرح فرضية منحرفة مفادها أن العكس هو الصحيح في الوقت الحاضر. فالخطاب أصبح جداليًا وملتبسا. الشيء الوحيد الواضح حتى الآن هو الآتي: ليس هناك سوى "مع" أو "ضد"، وهو ما يحدده كلا "المعسكرين" الضالعين في النقاش. فأنت إما أن تكون واعظا أخلاقيًا متشددا من اليسار أو الخضر أو شخصًا يمارس الرهافة اللغوية الراقية داخل بالون الليبرالية المحافظة. وهو ما يعني في آخر الأمر هو أن هناك استخدامًا واحدًا صحيحًا أو خاطئًا للجندرة. والخيار الذي تقوم به أنت نفسك يضعك تلقائيا في خانة سياسية بعينها، فلم تعد المنظورات الذاتية تلعب أي دور من فترة طويلة.

في غضون ذلك لم يعد هذا نقاشًا ينعقد في غرف مغلقة، فقد وصل شمول تلك المسألة عبر التعبير اللغوي إلى كل مكان؛ ففي الجامعات من المقرر أن يُجندر. ويخشى المحافظون أن يتم تقييم أبحاث تخرجهم لدرجة الباتشلر على نحو أسوأ إذا استخدموا صيغة تغليب المذكر. كما ستجندر شركة أبل. وهناك من ينادي بأن تحظر الدولة بالقانون الجندرة.

إذا نظرت حولك مثلا في وسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر أو فيسبوك، فستجد أن المحافظين في كل مكان تقوم قيامتهم من "السخف الجندري" (على الرغم من أن استخدام هذا التعبير ينطوي على سخرية على نحو ما، حيث يحلو للمحافظين الانزعاج من فظاظة اللغة الألمانية - على سبيل المثال من خلال الجندرة – إلا أنهم هم أنفسهم ينحتون مثل تلك الكلمة المروعة ويعيدوا انتاجها) – كما أصبح فريدريش ميرتس – رئيس الاتحاد المسيحي الديمقراطي – بسبب هذا الأمر ضيفا عاجلا على الأخبار اليومية[4]، أو عندما يقرر الصحفيون مازحين أنه لا أحد في ساحة الانتخابات يسأل عن الجندرة[5]، أي أنها تبدو من ناحية المبدأ ليست مثار اهتمام الشعب مطلقا.

مع مطالبته بأن يُحظر على الدولة الجندرة[6] أصبح كريستوف بلوس بين عشية وضحاها النجم الشاب للاتحاد المسيحي الديمقراطي: "أخيرًا شخص يجرؤ على قول شيء ما"، هكذا كانت الإجابات، أو: "نعم ، يجدر أن يُواجه أخيرا لوبي السخف الجندري بالواقع، فالرجل العادي لا يهمه الجندرة". يعقب ذاك تعليقات متشفية من الجانب الآخر: لماذا يا ترى، تساءل أحدهم، يطالب المحافظون بحظر عبارة ما على أساس أنه لا يمكن لأحد أن يملي على شخص آخر كيف له أن يتحدث على نحو صحيح؟ هل يطالبون بالحظر من أجل منع المحظورات؟ إنها المفارقة بعينها.

علقت آنا شنايدر من صحيفة دير فيلت على هذا بقولها: "هناك فرق ما بين إذا كانت هناك رغبة في حظر الجندرة بصفة عامة (قد أراه أمرا خاطئا، فهذا قرار شخصي يتخذه كل لنفسه) وما بين إذا طالبت الدولة ومؤسساتها أن تظل بمعزل عن أي أيدلوجيات".[7]

نعم، لقد تطورت الجندرة إلى نقاش وهمي يتعلق بسياسات الهوية، حيث يتحمل ذنب هذا المعارضون والمؤيدون، حتى لو لم أكن من أنصار مفهوم الذنب.

إنها نية تتسم بإنكار الذات أن تحاول التغيير المجتمعي بما يتفق مع أغراض الجماعة. إن القيام بفعل ما بهدف أن يكون مفيدًا للجميع هو شيء يمكن ابتداءً أن نطلق عليه ببساطة أمرا إنسانيا – مثل الاستقبال التضامني لجميع اللاجئين. لأن في حد ذاته - يمكننا الاتفاق على ذلك بعيدا عن الفضاءات اليمينية المتطرفة والمناهضة للديمقراطية – من المنطقي تماما مساعدة أولئك الذين هم في خطر. لكن تنفيذ مثل هذه الخطط البشرية سيجلب معه أيضا دائما نواقص ما، سواء على جانبك أنت نفسك أو على الجانب الآخر. ولكن لكي نعود إلى موضوعنا المحبب عن الجندرة فإنني أقول الآتي: عندما أعزم أمري على تبني الجندرة في الفضاء العام فأنني أنتقي كيف أفعل ذلك، وعلى استعداد لتقديم التنازلات، على نحو مطلق، ولافت للأنظار، ومقنن. وجميع الطرائق لها ما يبرر وجودها.

إذا كنت من دعاة الجندرة فأنت مسئول أيضًا للأسف عن إنفاذ المشكلات التي تثيرها خطتك هذه والتعامل معها. إن طرح مقاربة جديدة وتوطيدها في المجتمع كله مهمة رئيسية تعتمد على ممثليها – هكذا هو الأمر بمنتهى الموضوعية. يجب أن تُعنى جميع المواقف مع العواقب الناجمة عنها. فإذا تتبعت خطة غير مفهومة للأغلبية – على الرغم من الزعم العام بكونها جيدة للجميع وبالرغم من النية أن تكون هكذا –، وإذا كان هناك من يعارضها فإن الجهد المرتبط بهذه الخطة سيكون مكلفا إلى حد ما. ومن ثم عليك الاستمساك بها وأن تكون مقنعا. ومع ذلك فقد كتبت الصحفية تيريزا بوكر على تويتر العام الماضي: "إذا كنت ترد على

موضوع إيجاد لغة جندرية ملائمة بقولك: ألا يوجد لدينا أي شيء أكثر أهمية نقوم به؟" فيمكنك أيضًا أن تقول: إذًن لا داعي لأن ننزعج ويمكننا التعود سريعًا على هذا التغيير الطفيف."[8]

يسرف الإنسان في تبسيط الأمور على نفسه على مثل هذا النحو المخل إذ أن هذا قد يفترض بالأساس وجود إجماع عام، والذي على ما هو ظاهر لا وجود له. بمختصر القول إليك الآتي: نظرًا لأن أولئك الذين يريدون توطيد الجندرة باستخدام علامة النجمة هم الأقل عددا حاليا فإن عليهم القيام بممارسة الإقناع مستلهمين في ذلك تماما ما كتبه ماركس الذي كان مقتنعا بأن الفكرة يمكن أن تصبح قوة مادية ما أن أمسك بزمامها الجماهير. وهو على ما هو ظاهر ليس هو الحال مع الجندرة. ولكن بدلاً من ممارسة الإقناع فإن ما يحدث عادة لا يعدو سوى توجيه السباب إلى الآخرين.

بالمناسبة لا يوجد في هذا المضمار شيء يمكن أن يكون سريعا أو سهلا؛ فمن أجل تحقيق تغييرات اجتماعية كبيرة يجب أن نسارع من الآن بطرد تلك المفاهيم من رؤوسنا إذ أن جدالنا لا يسير وفق النهج الديمقراطي أو الموضوعي أو حتى المنطقي الخالص. غالبا ما يواكب الخطاب الدائر آثار جانبية. وهو أمر يمكن ملاحظته بوضوح فيما يخص مسألة الجندرة حيث تحدد علامة النجمة الآن الميول السياسية. بالطبع هذا محض هراء، ألا يجندر مع الوقت أيضا كل من الليبراليين أو المحافظين. وربما توقف بعض الناس عن أن يجندروا لأن الأمر أصبح على درجة هائلة من التسييس. وقد أظهرت الحملة الانتخابية المحافظة في عام 2021 المدى المجنون الذي وصل إليه الجدال برمته فقد غرد زودر – رئيس وزراء بافاريا – قبل يومين من الانتخابات بما يلي: "لا يجوز أن نستسلم لروح إعادة التربية التي تظهرها الأحزاب اليسارية عندما يتعلق الأمر بالجندرة. سنقف في وجه مثل هذه السخافات. لن نسمح أن يُملى علينا كيف يجب أن نكتب وأن نفكر! "[9] كما حذر زودر الجامعات البافارية في منتصف سبتمبر من أنه لن يقبل "بقانون للجندرة ولا ببطاقة لمخالفة الجندرة."[10] (في بعض الجامعات كان قد أصبح معروفا أنه سيتم خصم بعض الدرجات إذا جرى التخلي عن الجندرة).

كثير من الناس في ألمانيا لا يرون في الجندرة أمرا ربما يكون على هذه الدرجة من الخطورة. لكن ناخب تويتر المسيّس أصبح يرى مثل هذا الخطر الداهم. لقد جرى الاحتفاء بزودر، وعلق مستخدمون في تطبيق تيك توك بأشياء من قبيل "الحمد لله لا يزال هناك أشخاص عاديون ومشاكل عادية". وهكذا تنتهي الفكرة الأصلية لليسار التي كانت نقطة انطلاق الجدال إلى داخل الثقب الأسود للشعبوية. وفي هذا الصدد يجدر الذكر أن المقاربة ها هنا – كما قلت من قبل – لها ما يبررها تمامًا. إلا أن للأسف العاقبة الوخيمة المترتبة على هذا المطلب أصبحت تقول الآتي: تتحول الحرية إلى عبودية للجماهير.

هناك عيب كبير مرتبط بالحدة التي تُطلب بها مثل هذه التغييرات: أولئك الذين يتعرضون للهجوم وأولئك الذين يمتلكون في داخل النظام السيادة التأويلية لا يكادون يعانون من الهجمات ولا بالضرورة أولئك الذين يطالبون بالتغيير. إن الهجوم يصيب في المقام الأول أولئك الذين من المفترض بالأساس أن يتحسن وضعهم. ثم تبدو الحجة – كما صاغتها على سبيل المثال كارولينا شفارتس الصحفية بجريدة تاتس – صحيح مفهومة إلا أنها تصدم باستقطاب جاهل: " بالذات الصحفيون/ الصحفيات مسؤولون – بما في ذلك لغويًا – عن تصوير كل الناس. أضف إلى ذلك أن اللغة لا تهدف إلى التصوير فحسب، بل هي تعمل أيضًا على تشكيل واقعنا، وهو السبب الذي يجعل من المهم عدم استبعاد جزء كبير من المجتمع."[11]

في أحيان كثيرة للغاية لا يغادر المثاليون بالوناتهم الأكاديمية. ويتغذى المعارضون على مثل هذه المجادلات. وكل ما ينتج عن أشكال الخطاب العدوانية تلك هو الرعونة أو الليونة - أي رفض الخطاب برمته أو تجاهله وبالتالي تقوية الجبهة الذاتية.

ثم ينتهي أمر ما يجري مناقشته دائما وأبدا إلى مجرد التأطير العام، وهو ما يولد بدوره الحنق لدى اليسار. بالطبع يصبح المؤيدون، عن حق، جزءًا من المجادلات المُستَقطبة. أضف إلى ذلك أن كثيرا من المثاليين المقتنعين يفقدون في أثناء الصراع النية المستهدفة لتحقيق شيء جيد للجميع عندما يتعلق الأمر بوجودهم هم أنفسهم، ويسود الخطاب غير الموضوعي بين التيارات السياسية على الموضوع الفعلي. يصبح الخاص سياسيًا، أو بعبارة أخرى: في السياسة ليس للخاص أي أهمية مطلقا.

***

في النهاية الجندرية هي في الحقيقة مجرد مشكلة صغيرة؛ إذ أنني أستطيع من الآن أن أخبرك بشيء واحد: لن تكون هناك الإجابة الوحيدة لمثل هذه الأسئلة، وكلما زاد إدراكك لذلك كنت أفضل استعدادًا لمحطة الوصول الجماعية النهائية التي تحيط بها أحيانا وبحق علامات الاستفهام . اسمحوا لي أن أصل إلى ما يدعو إليه هذا الكتاب: الحلول الوسط.

لا أقصد بذلك التخلي المائع عن الديمقراطية، أي القبول على مضض بأنه "ليس هناك مزيد يمكن الحصول على عليه"، ولكني أعني الجوهر البسيط لسياستنا: إن أسمى مقتنيات الديمقراطية هو الحل الوسط والذي يتغذى عليه كل ما يجعل النظام في الواقع على هذه الدرجة من القوة.

ربما كنت سلفا تعرف هذا الجدال. وعلى الأرجح كنت تعرف أيضا هذا الشعور اللزج الذي يتوغل وينتشر عندما تلحظ أن مناقشة ما أصبحت تدور لإرضاء الذات، عندما تصبح المناقشة مجرد تكرارا لما كان كل الأطراف قد قالته سلفا. لديك بالتأكيد رأيك الخاص في الجندرة ولكن هناك من لن يدعك تهنأ بحالك: فحتى لو كنت تظن أنه ليس لديك رأي فأنت بالنسبة لأطراف الخطاب إما جاهل أو متبلد. وبعيدا عن بالون تويتر فإن المعتمد لدينا هو التالي: نحن في ألمانيا جزء من الديمقراطية، ديمقراطية برلمانية. تتآلف السياسة من زخات تأتي قادمة من جميع التيارات السياسية.

ماذا يعني ذلك بالنسبة للنقاشات الجدلية الهامة في مجتمعنا؟ أظن أنها بحاجة ماسة إلى مستوى نقاشي وتحليلي يمنع هذا الركود بعينه. كريستيان ليندنر – رئيس الحزب الديمقراطي الحر – قد يعلن هاهنا تعدد الرأي كأعظم مقتنيات للديمقراطية. لا أستطيع أن أصف هذا الأمر بمثل هذه الرومانتيكية. لكن: تتميز الديمقراطية بدمج النظريات والمعالم السياسية على شدة اختلافها، وهو ما يصب عادة في خانة حلول وسط وإمكانات تتسم للجميع في غالب الأحوال بأنها جيدة من أجل العثور على فضاء مشترك.

أنا لا أؤيد نظرية حدوة الفرس - فاليساريون ديمقراطيون واليمينيون نازيون، وهذا واضح – الأمر يتعدى هذا إلى شعور بشيء ما ينهشني من الداخل من جهل اليسار إدراك قدرته على التأثير السياسي على المدى الطويل، وهذا مرة بعد مرة. في مقابلة معي اعترفت سياسية من اليسار اعترافا صريحا مؤداه ما يلي: معظم ما يتم تنفيذه سياسيًا اليوم على أرض الواقع هو أفكار يسارية تم وصمها من عشرين عامًا مضت بأنها روث متطرف. من المثير للاهتمام أن نستحضر في الذهن بالأشخاص الذين كانوا يطالبون من التسعينيات بالفعل بصياغة سياسة اجتماعية للمستشارة ميركل على هذا النحو. ستندهش من العدد الكبير من النقاط في اتفاقية الائتلاف التي وضعها الديمقراطيون الاشتراكيون والديمقراطيون المسيحيون التي تحتوي أفكار أصيلة من اليسار. (وهو ما لا أقصد به الحزب في حد ذاته، ولكن الاتجاه السياسي كصفة). بالطبع لقد فات الأوان على اليسار الآن للاستفادة بهذا من أجل تحسين صورتهم الذاتية، ولكن من ناحية أخرى، فإن تشويه سمعة جميع الأحزاب السياسية الأخرى لا يشكل أساسا جيدا للدفع بعجلة التغييرات إلى الأمام على نحو أسرع إذا ما نظرت إلى ما تمخض عنه العقدان الماضيان.

تقودنا ثقافتنا في الجدال بخطى مباشرة إلى نيرفانا تفضي بنا إلى الخمول: أليس من السخف أن تلغي مارجريت شتوكوفسكي قراءة من أحد أعمالها ذات مرة لأن المتجر كان يحتوي أيضًا على رفوفه كتبا لزاراتسين؟ من استفاد من ذلك؟ زاراتسين، اليمينيون، أم المناهضون للفاشية، المهاجرون؟

فكيف من المفترض أن نتقدم، وكيف من المفترض أن نحول ما بينا وما بين تلك الحارات المسدودة؟ انتبه: سترى الشرح التالي مرارا وتكرارا في هذا الكتاب. إنها ما يمكن أن تطلق عليه أطروحة ما سيكون من المقرر التعبير عنه في هذا الكتاب وما أود أن ألصقه على جدران كل فضاء نقاشي في هذا البلد: متى توقفنا عن فهم الكيفية التي تحدث بها التغييرات المجتمعية بحيث تصل بنا إلى المكان الذي يجدر بها أن تصل إليه؟

إن البلد بحاجة إلى حلول وسط جذرية! لطالما أثبتت التقدمية الديمقراطية نفسها على النحو التالي: يكشف المثاليون عن المشاكل الأساسية للنظام، ويبحث الواقعيون عن مقاربات للحل، ويقتنع الخاملون. ماذا يعني ذلك بالنسبة لمجادلاتنا اليوم؟

لقد سبق ذكر مثال السياسة الاجتماعية اليسارية. تحدث التغييرات عندما تتمكن من جعل المناطق الوسطى من المجتمع متيمة بها. قد "نجندر" حقا في غضون أربعين عامًا لأن الفكرة الأساسية لإشراك الجميع قد فصلت نفسها عن الوحشية المتمثلة في وجوب تنفيذ هذه الفكرة بأي ثمن على الفور. ربما نتذوق تلك الفكرة الأساسية على نحو كاف بحيث يتمكن الجميع في مرحلة ما من تكوين رأي في هدوء بشأنها والوصول إلى قرار حاسم مفاده أنه هكذا الأمر أفضل. ربما حينها سيرغب ثمانون بالمائة من المواطنين الألمان في الجندرة بمن فيهم أنا. إذن فهي مسألة قادرة على تشكيل أغلبية بشأنها، هي مسألة ديمقراطية.

يكوّن المثاليون والواقعيون والخاملون سلسلة مهمة. ولهذه السلسلة في ألمانيا تراث عريق. لكن بعض العوامل مثل هذا الإنترنت وما يجمع أحزاب الوسط المتوطدة من تكافل جعلنا ننسى إلى مدى هذه السلسلة في الواقع جيدة وننسى أيضا الكيفية التي تعمل بها، حيث تمثل تلك السلسلة الطريق الوحيد لربط جميع المشاركين قدر الإمكان بعمليات التغيير. علينا تعلم أن نقبل مجددا أنه لا يوجد قاسم مشترك للبديهيات. يجب علينا إعادة اكتشاف أننا لا يمكن أن نكون أكثر فعالية إلا مع الحلول الوسط الجذرية.

هذا الكتاب ليس بيانًا لقوة الليبرالية. لكنه بالتأكيد يستند إلى قناعة راسخة بأن كل ما يُصنع في نظام ديمقراطي – وهو ما نميل عادة إلى أن نطلق عليه وصف "تقدمي" – يتم عبرها. وفهمنا الأساسي للديمقراطية يشتق منها – وهي التي تمدنا بوسائل لحلول وسط جذرية. يتمخض عن هذا استبصار مهم يجب ألا ننساه مهما كانت الموضوعات المطروحة: من لديه مطالب ليس مباشرة يعني أنه على حق أو لديه حق سيادي للتأويل في الجدال الدائر. وحتى الطلب الذي يبدو على ما هو ظاهر عادلا لا يعني على نحو مباشر أنه يجب أن يحدث على الفور وأنه دائمًا هو الصحيح.